مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد10 /العـدد: 2 (2022)، ص: 642- 651

سؤال الحقيقة في فلسفة مارتن هيدغر

The Question of Truth in Martin Heidegger's Philosophy

ط.د نورية عباييد[1]، أ.د فيصل لكحل[2]

[1]جامعة ابن خلدون (تيارت)، nouria.abaid@univ-tiaret.dz

[2] جامعة ابن خلدون (تيارت)، Faysal.lakhal@univ-tiaret.dz

تاريخ الاستلام: 2022/03/16 تاريخ القبول: 2022/03/23 تاريخ النشر: 2022/05/10

ملخص:

تتناول هذه الورقة العلمية سؤال الحقيقة عبر مساءلة التصور الذي جرى ترسيخه في الفكر والممارسة ضمن حقول المعرفة الغربية عبر الأنساق الفلسفية الكلاسيكية، وهو تصور مفهوم الحقيقة باعتبارها تطابقا وتوافقا، والتأسيس للحقيقة المطلقة والكلية. وصولا إلى الفلسفة المعاصرة التي كانت معاولا لهدم وتقويض مبادئ الذاتية واليقين المطلق والثبات والكلية.

وتهدف هذه الدراسة إلى توضيح كيف أن الحقيقة لم تعد تقدم نفسها مكتملة ولا بكيفية واحدة كما كان سائدا، بل أصبحت تقدم نفسها كتعدد غير مكتمل. ولم يعد تحديد الحقيقة كتطابق هو التحديد الوحيد الذي أسند إليها، بل أصبحت الحقيقة انفتاحا وانكشافا مع هيدغر الذي انتقد التصور التقليدي للحقيقة وتجاوزه إلى تصور جديد محدثا بذلك انتقالا كبيرا من تناول مسألة الحقيقة في إطار معرفي إلى تناولها في سياق أنطولوجي.

كلمات مفتاحية: الحقيقة، التطابق، المطلقية، الانكشاف، الحرية، التعدد

Abstract:

This scientific paper deals with the question of truth and questioning the perception that has been established in thought and practice within the fields of Western knowledge through classical philosophical patterns. Reaching to contemporary philosophy, which was a tool to destroy and undermine the principles of subjectivity, absolute certainty, stability and totality.

This study aims to clarify how the truth no longer presents itself complete or in a single manner as it was prevalent, but has become present itself as an incomplete plurality, and defining the truth as conformity is no longer the only identification that is ascribed to it, but The truth became an openness and exposure with Heidegger, who criticized the traditional perception of truth and transcended it into a new one, thus making a great transition from addressing the issue of truth in an epistemological framework to addressing it in an ontological context.

Keywords: Truth, congruence, absolute, exposure, freedom, plurality

المؤلف المرسل: ط.د نورية عباييد

1.مقدمة:

أثارت مشكلة مفهوم الحقيقة كمضمون واحد وثابت الكثير من الجدل حيث تعددت تأويلات الفلاسفة لمفهوم الحقيقة واختلفت باختلاف نزعاتهم واتجاهاتهم، واختلاف أهداف البحث عن الحقيقة.إذ تناولت الأنساق الفلسفية سؤال الحقيقة من وجهة نظر معرفية، أسست لعهد الحقيقة المطلقة والثابتة والكلية في الفلسفة كما في الميتافيزيقا وحتى في

المعرفة العلمية. واستمرت هذه النظرة للحقيقة إلى حدود الفلسفة المعاصرة التي رفضت النظر إلى الإنسان على أنه مجرد ذات عارفة وللأشياء على أنها مواضيع للمعرفة، فعملت على زحزحة مركزية الذات ونفي العقلانية، ونظرت إلى الإنسان على أنه انفتاح وحرية، وإلى الأشياء على أنها موجودات تكشف عن نفسها بالاهتمام. ولعل هذا التخصيص ينقلنا إلى الحديث عن الحقيقة كما تصورها هيدغر، الحقيقة لا بوصفها تطابقا وإنما بوصفها انكشافا، ما دفعنا إلى تعميق السؤال حول المفهوم التطابقي للحقيقة ومساءلته من جديد، وإبراز التحولات الكبرى لمفهوم الحقيقة، فما الذي جعل من هذا التصور للحقيقة باعتبارها تطابقا يتجذر في الممارسة الفلسفية ويمارس الهيمنة على نظم المعرفة في الأنساق الفلسفية القديمة والحديثة؟ وهل يحق لنا الحديث عن وحدة الحقيقة أمام تعدد التصورات حولها ؟ وكيف أعاد هيدغر صياغة مفهوم الحقيقة؟ وكيف يمكن للحقيقة أن تكشف عن نفسها في نظر هيدغر؟

2.سؤال الحقيقة الأبعاد والدلالات:

إن المقتضى المنهجي يستلزم منا وقبل أية مساءلة تحليلية لسؤال الحقيقة وتحولاتها، أن نتعرض لمفهوم الحقيقة ودلالتها، ومعنى المصطلح ذاته، فلطالما عانى الفكر الفلسفي من صعوبة إيجاد رؤية محددة لحسم هذه المسألة، إذ لا يوجد اتفاق بين الفلاسفة حول تفسير الحقيقة ولا اتفاق حول الحاجة إلى مساءلتها، بل هناك اختلاف في قراءتها وتأويلها. ولعل الالتباس الأول الذي يواجهنا هو أن مصطلح الحقيقة بحد ذاته مصطلح ملتبس وغامض، لذا سنحاول إيجاد مفهوم ولو تقريبي للحقيقة.

عرفها ابن منظور في لسان العرب أنها ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه، والمجاز ما كان بضد ذلك، فتكون بذلك الحقيقة هي الحق والصدق والصحة واليقين، والوجوب والرصانة ومقابلة المجاز، وفي هذا يقول ابن منظور: " بلغ حقيقة الأمر أي يقين شأنه" (منظور، صفحة 942)

وعرفها الجرجاني في كتابه التعريفات هي الشيء الثابت قطعا ويقينا، يقال "حق الشيء" إذا ثبت، وهو اسم للشيء المستقر في محله، فإذا أطلق يراد به ذات الشيء الذي وضعه واضع اللغة في الأصل "كاسم الأسد للبهيمة" وهو ما كان قارا في محله، والمجاز ما كان قارا في غير محله (الجرجاني، صفحة 80)

والحق في اللغة هو الثابت الذي لا يسوغ إنكاره، واليقين بعد الشك، والواجب، والعدل، والأمر المقضي، وهو من أسماء الله تعالى أو من صفاته. ويقابل الحق الباطل، في حين يقابل الصدق الكذب، و الفرق بينهما أن المطابقة تعتبر في الحق من جانب الواقع، وفي الصدق من جانب الحكم، فمعنى صدق الحكم مطابقته للواقع، ومعنى حقيقته مطابقة الواقع إياه (صليبا، 1982، صفحة 481) وفي هذا إشارة إلى أن الحق هو الموجود حقيقة لا الموجود توهما، فماذا يعني أن يكون الشيء حقيقيا؟

الحقيقي véritable هو ما يوجد فعلا، أو ما وقع فعلا (لالاند، 2001، صفحة 1539)فالحقيقي هو الواقعي وهو الشيء الموجود بالفعل، ويقابله الاعتباري الذي لا تحقق له. والحقيقي مرادف للحق باعتباره صفة فنقول: هذا قول حقيقي أي مطابق للحق، وهذا ذهب حقيقي أي ذهب خالص.والملاحظ في هذه التعريفات اللغوية أنها تختزل مفهوم الحقيقة في ما هو ثابت ومستقر ويقيني مقابل المتغير والزائف والمتحول، يعني أن المفهوم اللغوي للحقيقة عند الجرجاني أو ابن منظور يقابل معنى شيء ثابت مستقر يقيني في مقابل شيء زائف، باطل، متحول.

وللحقيقة عند الفلاسفة عدة معان:

_ الحقيقة بمعنى الماهية، تعرف الماهية L'essence بأنها التصور الكلي في مقابل الوجود المشخص والوجود العام والكلي في مقابل الوجود الجزئي، فماهية الكائن بمعناها الضيق هي ما يكون هو هو، أي ما به يكون موجودا من حيث هو فردي في نوع معين (يعقوبي، 2002، صفحة 12). فيقال حقيقة الشيء أي ما به الشيء هو هو "كالحيوان الناطق للإنسان" بخلاف مثل الضاحك والكاتب مما يمكن تصور الإنسان بدونه.

_ الحقيقة بمعنى المطابقة، مطابقة التصور أو الحكم للواقع، فالحقيقة بهذا المعنى اسم لما أريد به حق الشيء إذا ثبت، أو مطابقة الشيء لصورة نوعه، أو لمثاله الذي أريد له، فالحقيقة بهذا المعنى هي ما يصير إليه حق الشيء ووجوبه. أو مطابقة الحكم للمبادئ العقلية (صليبا، 1982، صفحة 486)، من هذا المنطلق نحن بحاجة إلى مساءلة ماهية الحقيقة، ومساءلة الحقيقة كتطابق عبر تاريخ الفكر الفلسفي.

3.النظرية التقليدية في الحقيقة: الحقيقة كتطابق

لطالما اهتمت الأنساق الفلسفية الكلاسيكية بالبحث عن الحقيقة وليس بمشكلة الحقيقة ذاتها، فمهمة الفيلسوف هي البحث عن الحقيقة، يقول أرسطو: "ومن الصواب أن نطلق على الفلسفة اسم معرفة الحقيقة، لأن الغاية من المعرفة النظرية هي الحقيقة، في حين أن الغاية من المعرفة العلمية هي الفعل...ومن ثمة فمبادئ الأشياء الأزلية لابد أن تكون باستمرار أكثر حقيقة من غيرها، لأنها ليست مجرد أشياء تكون أحيانا حقيقية فحسب، وليس هناك أية علة لوجودها، وإنما هي نفسها علة وجود الأشياء الأخرى، حتى أن كل شيء من زاوية الوجود هو كذلك من زاوية الحقيقة " (أرسطو، 2009، صفحة 296) قول أرسطو هذا يقودنا إلى التصور الذي جرى ترسيخه في الفكر منذ بارمنيدس وأفلاطون وهو تأسيس عهد الحقيقة المطلقة و الثابتة والكلية. فالحقيقة من وجهة نظر هذه الأنساق الفلسفية تتصف بأنها واحدة تخص العقول جميعها، وأنها كلية غير مخصوصة بزمان أو مكان ما، وأنها منفصلة عن الرهانات والمنافع، ولا تتصل بالمتغير أو المحسوس بل هي موجودة في عالم العلل الأولى، الأشياء جميعها ترتد إليها.

إن الحقيقة ضمن إطارها الفلسفي العام تكاد تجزم حصول التطابق بين الشيء وموضوعه، أو ما يقع في الأذهان توافقا مع الأعيان. الحقيقة هي التوافق بين ما نقوله وبين ما هو موجود، فالحقيقة صفة في معارفنا واسم لكل شيء موصوف بالوجود الواقعي، إنها الربط بين تفكيرنا (إدراك، حكم) وبين الواقع المدرك (Didier, 1964, p. 311)وهو ما عرف في أنماط الفكر الكلاسيكي بأن حكما من الأحكام يكون على وجه الدقة حقا إذا كان يتطابق وحالات الأشياء موضوع الحكم. والتوافق La concordance والتطابق L'adéquation، هو ميزة كل ما هو حقيقي سواء كان شيئا أو حكما، فالحقيقي هو ما يتوافق ويتطابق، **والحقيقة هي التوافق والتطابق وهي الصحة L'exactitude والاستقامة La rectitude، صحة واستقامة التمثل Rectitude de la représentation** (Heidegger, De l'essence de la vérité, 1948, p. 27) . فما معنى الحقيقة كتوافق وتطابق؟

تكون العبارة حقيقية بقدر ما تتطابق وتتوافق مع الشيء مضمون العبارة، إن الحقيقة تقوم في توافق وتطابق الحكم أو العقل مع الأشياء، ومدلول الحقيقة كتطابق يعود إلى النظرية التقليدية والتي تعود جذورها الأولى إلى أفلاطون وأرسطو الذي ربط الحقيقة بالحكم والقضية واعتبرها تطابقا بين المعرفة وموضوعها. إن التصور التقليدي للحقيقة يجعل من الحكم مكانا أصيلا للحقيقة، ويحدد مفهوم الحقيقة بتطابق الحكم مع موضوعه أو تطابق العقل مع الشيء، وهو في حقيقة الأمر تصور يعود في أساسه إلى أرسطو الذي يعد أول من أشار إلى تحديد الحقيقة بمفهوم التطابق، أي تطابق العقل مع الشيء، وذلك استنادا إلى عبارته التي يقول فيها: " ليس الباطل والحق في الأشياء نفسها...وإنما هو في الفهم" (هيدغر،

1977، صفحة 348) بمعنى أن الحق هو صحة الحكم المعبر عنه بالقول متى تطابق مع الواقع، والحقيقة كتطابق هي الصياغة الملزمة للفكر الغربي كله، ابتداء من الفلاسفة المدرسيين وحتى نيتشه. ونجد عبارة أخرى عند توماس الإكويني: "توجد الحقيقة بمعناها الصحيح في العقل (الفهم) البشري أو العقلي الإلهي" (هيدغر، 1977، صفحة 349). وكلمة المطابقة أو الموافقة ظهرت مع صياغة الإكويني فالقول أو الحكم يصح إذا كان الشيء الذي يحكم عليه يطابق الحالة الوجودية (الواقعية) التي يكون عليها ذلك الشيء، وبتعبير آخر يكون الحكم صحيحا إذا كان الشيء المقول في العبارة يطابق الشيء كما هو في الواقع، ويكون خاطئا إذا كان الشيء في العبارة لا يطابق الشيء في الواقع، بالنسبة لأرسطو الصدق والكذب يقعان في العقل لا في الأشياء، لكن مع توما الإكويني يختلف الأمر لأنه يؤكد على فكرة الماهية، إذ للأشياء ماهية، وهي تعد حقيقية لأن بها نسبة ما إلى العقل، وهكذا فالأشياء الصناعية تكون حقيقية إذا كانت تشبه الصورة الذهنية لها في عقل الصانع أي ماهيتها في عقل الصانع، فيقال بيت حق إذا كان له شبه الصورة الحاصلة في عقل الصانع. وكذا الأشياء الطبيعية توصف بالحقية باعتبار حصولها على شبه الصور الموجودة في العقل الإلهي، فيقال حجر حق لحصوله على طبيعة الحجر الخاصة المطابقة لسابق تصور العقل الإلهي. (الإكويني، 1881، صفحة 220).إن الإدراك بالنسبة للإكويني هو انعكاس للوعي الإلهي، فتكون الحقيقة هي "مطابقة الإدراك والشيء" وكلمة مطابقة تعني الصلة والمعادلة التامة: فمن جهة تسمى الأشياء صحيحة، من حيث أنها تكون مشابهة للصور الموجودة في الإدراك الإلهي، ويكون الإدراك الإنساني بالغا الحقيقة، من جهة أخرى بقدر ما يكون مطابقا للأشياء التي يعيها.

إن التصور المتداول للحقيقة يحدد الحقيقة كتوافق وتطابق، وذلك بطريقة مزدوجة: تطابق الشيء مع فكرتنا عنه، والتطابق بين ما نفكر فيه وننطق به مع الشيء الموجود في الواقع. فتكون الحقيقة تبعا لهذا التصور هي: مطابقة الشيء لتصوره العقلي، وهي مطابقة التصور أو الحكم العقلي للشيء أو الواقع. بمعنى أن الحق والحقيقة يدلان هنا على الصحة والتوافق، وذلك بالمعنى المزدوج لهذه الكلمة: فهو من ناحية توافق الشيء مع ما يفترض عنه (أو يقصد به) ومن ناحية أخرى تطابق مدلول العبارة مع الشيء. هذا الطابع المزدوج للتوافق يوضح التعريف التقليدي الموروث لماهية الحقيقة: الحقيقة هي تطابق الشيء مع العقل veritas est adaequatis rei et intellectus ، وقد يكون معنى هذا أن الحقيقة هي تطابق الشيء مع المعرفة، ولكن قد يكون معناه أيضا أن الحقيقة هي تطابق المعرفة مع الشيء veritas est adaequatis intellectus ad rem(هيدغر، 1977، صفحة 254) كلا التصورين عن الحقيقة يدل دائما على "التوافق مع.." فتكون بذلك الحقيقة صحة أو صوابا أو توافقا. وتعتبر اللحظة الأفلاطونية لحظة حاسمة كانت بداية الميتافيزيقا، لحظة يؤول فيها الوجود إلى مثل انطلاقا منها تتحدد صور الأشياء، فأصبحت حقيقة الأشياء لا تتحدد إلا بارتباطها بعالم ما فوق الأشياء الذي يمثل عالم الوجود الحق (يفوت، 1999، صفحة 09) ومن هنا تبلور التصور التقليدي للحقيقة الذي تعني بمقتضاه التوافق والتطابق: التطابق بين الشيء وتصورنا عنه، ثم التطابق بين الدال اللفظي والمدلول. أما اللحظة الثانية فكانت مع ديكارت حيث أصبحت المعرفة موضوعا للتمثل، أو وضع الشيء أمام الذات وانطلاقا منها، فيجعل بذلك ديكارت الحقيقة قائمة في توافق أفكارنا مع الواقع من حيث أن لها قيمة تمثيلية. وأصبحت الحقيقة تستقر في الذات بوصفها تقوم على نفس تفكر تستند على أساس يقين هو (الأنا المفكر) أو (الذات المفكرة) التي تمتلك ما يؤهلها أن تفكر وتدرك أنها تفكر. ولكي تكون أحكامنا صحيحة وأكثر صلابة نستخدم العقل لأنه بإمكانه التمييز بين الحق والباطل وفي هذا يقول ديكارت: "العقل أعدل الأشياء قسمة بين الناس، وهو الوسيلة التي نمتلكها للتمييز بين الحق والباطل ، والحواس لا توصل إلى الحقيقة، فقد أكون مخدوعا، وقد لا يكون إلا قليلا من النحاس والزجاج ذلك الذي اعتبره ذهبا وماسا" (ديكارت، مقال عن المنهج، 1985،

صفحة 114) يعني أن العقل هو السبيل الوحيد لإدراك الحقيقة المطلقة أو الوصول إليها. إن الحقيقة هي ما تتصوره الذات واليقين ليس سوى ما ترى الذات أنه كذلك.

لكن هل تحديد الحقيقة كتطابق هو التحديد الوحيد الذي أسند للحقيقة على مدى تاريخ الفكر الفلسفي؟

يرفض دعاة ما بعد الحداثة فكرة الحقيقة الكلية، فهي من مخلفات عصر التنوير الذي افترض وجود نظام وقواعد ومنطق، فالسؤال عن الحقيقة سؤال ميتافيزيقي، فسؤال "ما الحق؟" لا يختلف تماما عن سؤال "ما الإله؟" (المسيري و التريكي، 2003، صفحة 88) فلطالما اعتبرت الميتافيزيقا التقليدية الحقيقة هي "مطابقة ما في الأذهان لما في الأعيان" لكن مع الفكر المعاصر عرفت الحقيقة تحولا عميقا. إذ تجاوزت أطروحات الفلسفة المعاصرة مسألة حصر الحقيقة في ثنائية العقل/التجربة، وبالتالي معيار المطابقة، ومن أهم هذه الأطروحات وأكثرها تأثيرا في تاريخ الفكر الفلسفي أطروحة نيتشه. ينتقد نيتشه مسألة التطابق بمعناها التقليدي، فهو يشكك في قدرة العقل على بلوغ الحقيقة، فالعقل بالنسبة له لم ينتج عبر تاريخه إلا الوهم، إن الحقائق هي عبارة عن أوهام نسينا أنها كذلك. (سبيلا و بنعبد العالي، 2005، صفحة 74) إن التصورات التي رافقت الأنساق الفلسفية الكلاسيكية ضمن حقول المعرفة تؤسس للحقيقة المطلقة والثابتة والكلية في الفلسفة كما في الميتافيزيقا، لكن نيتشه يعتبر هذا التصور وهما وخطأ، هو تصور مرتبط بحاجة الإنسان إلى البقاء كنوع حيواني، فليست الحقيقة الثابتة إلا وسيلة بين أيدي الإنسان وليست غاية تعرف لذاتها. لذلك نجد أن النقد النيتشوي ينزع عن الحقيقة إطلاقيتها وقدسيتها ليظهرها كقيم تم إقرارها من طرف إرادة مسيطرة أو إرادة حقيقة مهيمنة، تنزل الحقيقة من سموها لتصبح لعبة قوى وصراع إرادات هيمنة، وصراع رغبات، وتصالب أوهام (سبيلا و بنعبد العالي، 2005، صفحة 08) فالحقيقة ليست شيئا في ذاته بل هي القيمة التي تنسبها إليها إرادة قوة أو إرادة معرفة.

الجديد الذي يحمله موقف نيتشه في مسألة الحقيقة هو أنه لم يسع إلى البحث عن الحقيقة كما حدث في الأنساق الفلسفية التي سبقته، حيث أن المهمة التي نهضت الفلسفة من أجل تحقيقها هي البحث عن الحقيقة، لكن مع نيتشه سيتجه الأمر نحو إرادة الحقيقة بدلا من البحث عن الحقيقة، ويقول في ذلك: " احترسوا أيها الفلاسفة وأصدقاء المعرفة، واحذروا من الاستشهاد ومن المعاناة "في سبيل الحقيقة" وحتى من الدفاع عن أنفسكم ! فإن ذلك يفسد كل ما لوجدانكم من براءة ولطف حياد...ويجعلكم أغبياء " (نيتشه، 2003، صفحة 52) وبدلا من تعريف الفلسفة بأنها "فن اكتشاف الحقيقة" ستكون مع نيتشه "الفلسفة هي فن الحياة". من هنا كانت انتقادات نيتشه للتصور المتداول لسؤال الحقيقة بداية لتصور جديد يعكس رؤى جديدة أكثر انفتاحا مع هيدغر. رغم أن هيدغر يرى أن نيتشه سار في نفس نهج دعاة الميتافيزيقا الذين قدسوا الذات وساهموا في تعاليها، فإذا كان ديكارت قد اعتمد الكوجيتو "أنا أفكر"، فإن نيتشه اعتمد كوجيتو ميتافيزيقي "الأنا أريد" فوظف بذلك الإرادة كأداة استحوذت بمطلقية على الذات.وقد تجسدت ملامح الميتافيزيقا عند نيتشه في مشروع العود الأبدي ومشروع الإنسان الأعلى.(Heidegger, Nietzche I, 1971, p. 235) لذلك سيبحث هيدغر عن منفذ للتنصل من أغلال الميتافيزيقا التي حجبت الحقيقة، فكيف ذلك؟

4.المساءلة الهيدغرية لمفهوم الحقيقة :

إن محاولة هيدغر هي محاولة لاستكشاف التراث الغربي والحوار المستمر معه والإنصات من جديد لنداء الوجود الذي انبعث من نصوص فلاسفة الإغريق، فانضم بجهده الفلسفي الجديد إلى شعار الظاهراتية "العودة إلى الأشياء ذاتها"، فتوخى السؤال الفلسفي الخفي، السؤال المنسي: ما الوجود؟ (غادامير، طرق هيدغر، 2007، صفحة 216)فاتجه بذلك هيدغر نحو استحضار اللامتكشف، وتذكر المنسي، وتفكيك هاجس الميتافيزيقا، والتجاوز الكلي لها، بالاستناد إلى التجربة

الفكرية التأملية لهرقليطس وبارمينيدس التي استهدفت طرح السؤال الأنطولوجي الذي يستدعي كشف حقيقة الوجود المتخفي.

يتأتى تصور هيدغر لمفهوم الحقيقة انطلاقا من مصطلح الأليثيا، وهو مصطلح يوناني أعاد هيدغر إحياءه في القرن العشرين، فما معنى الأليثيا؟ وما مفهوم الحقيقة كأليثيا ؟

Veritas هو الإسم اللاتيني والمدرسي للحقيقة، أما Aléthia فهو الإسم اليوناني: لقد كان من المعتاد منذ هيدغر استخدام هاتين الكلمتين للإشارة إلى مفهومين أو معنيين مختلفين للحقيقة: من ناحية الحقيقة باعتبارها مطابقة بين الفكر والواقع، ومن ناحية أخرى الحقيقة باعتبارها عدم حجب الوجود نفسه أو ما نسميه الأليثيا (Comte-Sponville, 2013, p. 3414). حاول هيدغر تفسير ماهية الحقيقة بالعودة إلى تاريخ الفلسفة، والنظر في المعنى الأصلي الذي كان يقصده فلاسفة اليونان من كلمة (أليثيا) ، حيث يشير الأصل اللغوي لكلمة آليثيا إلى شقين: (آ _ ليثيا)، الـ (آ) (a)هي ما يعرف بالألف الحرمانية أو الألف المانعة، إنها تبدأ بالحرف(a) الذي يدل على السلب، أما (ليثيا) (léthia) فتعني إخفاء أو حجب، إن الأصل في الحقيقة أنها تدل على ما ينتزع من التحجب والخفاء، والحقيقة من حيث هي هذا الانتزاع تكون في كل مرة على هيئة كشف أو انكشاف. (هيدغر، 1977، صفحة 331) وبهذا فإن الحقيقة من منظور هيدغر لا تقوم على مفهوم المطابقة بين العقل والواقع، بل في رد كل من العقل والواقع إلى الأفق الأنطولوجي الذي يسمح بانكشاف الحقيقة، فالحقيقة بوصفها اللاتحجب هي ذلك العنصر الذي يتجلى فيه الوجود والفكر معا، لأن الحقيقة في معناها القوي لا تفيد المطابقة أكثر مما تفيد التجلي والانكشاف. فكيف ذلك؟

كشف هيدغر عن الأساس اللاهوتي للنظرية التقليدية والمتمثل في أن ضمان وأساس الحقيقة كتطابق بين العقل (المخلوق) والأشياء (المخلوقة) هو تطابق الأشياء (المخلوقة) مع العقل (الإلهي). فوجه بذلك عدة انتقادات للنظرية التقليدية حول الحقيقة كتطابق من حيث أنها تضع الحقيقة في الحكم، وتجعل أحد معايير الحقيقة (التطابق) بمثابة ماهية الحقيقة. في حين أن إمكانية التطابق تتطلب قبل كل شيء أن يتكشف الموجود الذي أصدر عليه حكمي على النحو الذي يكون عليه، وأن تكون لدي القدرة على الكشف عنه في حالته هذه (هيدغر، 1977، صفحة 134) بذلك يمهد هيدغر لنظرية حول الحقيقة كانكشاف محدثا انتقالا كبيرا من تناول مسألة الحقيقة في إطار معرفي يعتبرها بمثابة صواب التمثل الذاتي وتوافقه مع موضوعه إلى تناولها في سياق أنطولوجي.

أرجع هيدغر المفهوم التقليدي للحقيقة إلى المفهوم القائم على فكرة التطابق بين العقل والشيء أو بين الشيء والعقل إلى تكوين الآنية المتميزة قبل كل شيء بالقدرة على الكشف والانفتاح على نفسها وعلى العالم. والقول بأن الآنية "تكون في الحقيقة" لا يعني أن هناك حقائق تغرسها فيها قوى خارجية عنها، بل معناه أنها وجود_ في العالم منفتح بصورة دائمة على عالمه وكل ما يتصل به. وهذا الفهم الجديد للآنية أو للإنسان قد تجلى في فهم جديد مثله للحقيقة. (هيدغر، 1977، صفحة 107). إن تطابق الحكم والموضوع أو تطابق الموضوع والحكم لا يعبر إلا عن وجه واحد من وجوه المشكلة، فتوافق الحكم أو تطابقه مع الشيء هو نوع من "التكافؤ" ولا يعني هذا أن الحكم يريد أن يجعل من نفسه شيئا، فالقضية أو العبارة التي تحكم على قطعة نقدية بأنها مستديرة ليست هي نفسها شيئا مستديرا، ولا هي من المعدن الذي صنعت منه القطعة النقدية، وليس الهدف منها (أي من العبارة) أن تصبح هي الشيء الذي يعبر عنه، بل أن تكشف عن الحالة التي يكون عليها هذا الشيء. أي أن العلاقة المميزة للحقيقة (أو الصدق) -وهي علاقة التطابق أو التوافق- علاقة من هذا النوع كما -هي- عليه (هيدغر، 1977، صفحة 132) إن التصور المتداول يحدد الحقيقة كتوافق وتطابق وذلك بطريقة مزدوجة: تطابق الشيء

مع فكرتنا عنه، والتطابق بين ما نفكر فيه وننطق به مع الشيء الموجود في الواقع.لكن هيدغر يرى أن تعريف الحقيقة ك "تطابق" هو تعريف عام وفارغ، ولا يعكس التحديد الفعلي للحقيقة، فعندما نقول مثلا هذه القطعة النقدية مستديرة، هنا يتوافق المنطوق مع الشيء، فالعلاقة الآن لا تقوم بين شيء وشيء، بل بين منطوق وشيء.ولكن فيم يمكن للشيء والمنطوق أن يتوافقا في الوقت الذي يكون طرفا العلاقة مختلفين من حيث المظهر؟ فقطعة النقد مصنوعة من المعدن بينما المنطوق ليس أبدا مادة، وقطعة النقد مستديرة بينما المنطوق ليس له أي صفة هندسية، لكن على الرغم من كل الفوارق فإن المنطوق يتوافق هنا مع قطعة النقد باعتباره حقيقيا، وهذا التوافق طبقا للتصور المتداول للحقيقة يتعين أن يتصور كتطابق.(هيدغر، التقنيةالحقيقةالوجود، صفحة 17.16)لكن "التطابق لا يمكن أن يعني حدوث تماه فعلي بين شيئين مختلفين في طبيعتهما، فماهية التطابق تتحدد بالأحرى بطبيعة العلاقة القائمة بين المنطوق والشيء، ومادامت هذه العلاقة لم تتحدد ولم تتأسس في ماهيتها، فإن كل مناقشة حول إمكانية أو عدم إمكانية هذا التطابق، وحول طبيعته ودرجته هي مناقشة في الفراغ" (Heidegger, De l'essence de la vérité, 1948, p. 75) ويشير هيدغر في كتابه "الكينونة والزمان" إلى أن تخصيص الحقيقة بوصفها "تطابقا" adaequatio هو بلا ريب جد عام وفارغ، إن تطابق شيء ما مع شيء ما إنما له الطابع الصوري لعلاقة شيء ما مع شيء ما. كل تطابق ومن ثم أيضا كل "حقيقة" هي علاقة ما، ولكن ليس كل علاقة هي تطابق، ومن الواضح أن كل تطابق لا يعني أيضا على ذلك شيئا من قبيل التلاؤم المثبت في تعريف الحقيقة، إذ نجد أيضا أن التساوي هو ضرب ما من التطابق، إن "التطابق" له طابع العلاقة: "مثل ـ ما"، فبأي وجه تكون هذه العلاقة ممكنة من حيث هي علاقة بين intellectus و res العقل والشيء؟ (هيدغر، الكينونة والزمان، 2012، صفحة 399)إن تعريف الحقيقة كتطابق ليس خاطئا بالنسبة لهيدغر ولكنه غير كاف، لأننا عندما نتحدث عن تطابق شيء مع شيء فنحن نتحدث عن علاقة. ومن أجل إيضاح بنية الحقيقة لا يكفي أن نفترض فحسب هذه العلاقة في جملتها، بل ينبغي أن نعود بالسؤال إلى سياق الكينونة، إذ تبين أن موضع الحقيقة ليس القضية "ليست القضية هي مكان الحقيقة، بل الحقيقة هي مكان القضية" فأرسطو عندما اعتقد أن ما هو حقيقي لا يمكن أن يكشف إلا في بنية قضية منطقية، يمكن التعبير عنها تعبيرا لغويا، لم يضف شيئا جديدا لمعنى ما هو حقيقي سوى التوضيح والكشف المنطقي، وذلك بإحضاره في قضية منطقية، بيد أن ما يحضر في القضية ليس هو الحقيقة وإنما الحقيقة كتصور لما هو كائن تكشف عن نفسها في قضية وبالتالي لا تصبح الدعامة المنطقية هي التي تتحكم في الحقيقة، ولكن الحقيقة بقدر ما هي معنى يتماها مع الكينونة، حيث يريد هيدغر أن يجعل من الحقيقة فسحة تحيا فيها الكينونة أكثر من كونها مجرد بعد للحكم، وبالتالي يسقط التعريف التقليدي للحقيقة(لكحل، 2011، صفحة 55)فإذا تبين أن موضع الحقيقة ليس القضية فسنبحث للحقيقة كما يقول هيدغر عن تأويل أكثر أصالة من المفهوم التقليدي،(Wahl, 1998, p. 19) لذلك فإن الحل لا يكون إلا بالنظر إلى المسألة من زاوية مختلفة، يجب علينا النظر من منطلق أنطولوجي وتجاوز ثنائية الذات والموضوع، بمعنى تجاوز الفصل بين الذات والموضوع. وهذه الفكرة تأكيد على خطأ كل فصل مزعوم للداخل عن الخارج، فليس ثمة تفكير بدون موضوع للتفكير، والذات ملتحمة بالعالم منسجمة فيه، والآنية عند هيدغر وجود متعالي ومتخارج من حيث بنيتها الأساسية مما يؤكد أن فكرة الإحالة أو القصد عند هوسرل وهيدغر تأكيد لالتحام الذات والموقف،(عبد السلام، 2000، صفحة 68) فبالنسبة لهيدغر التوافق بين الحكم كمضمون مثالي وبين الموجود المتعين في الواقع يتأسس تبعا للفعل القصدي الذي يتخذه الحكم اتجاه الموضوع، أي تبعا لاستهداف الحكم (المنطوق) للشيء مضمون الحكم، وجعله ينبثق أمامه كموجود من حيث هو كذلك، أي جعله يتجلى وينكشف فيما هو عليه وعلى ما هو عليه. والحكم في نظر هيدغر يتوافق ويتطابق مع الشيء من حيث أنه يستحضره

"إن المنطوق المنسوب إلى الشيء يتعلق بهذا الشيء من حيث أنه يستحضره، ويخبر ويقول شيئا عن الشيء المستحضر، وفق المنظور الموجه للنظرة، ومن حيث أن المنطوق الاستحضار يقول شيئا ما عن الشيء المستحضر فإنه يعبر عنه كما هو، هذا الـ "كما هو" يتعلق بعملية الاستحضار وما تستحضره"(Heidegger, De l'essence de la vérité, 1948, p. 76) يدين هيدغر كل تصور يرجع الحكم إلى مضمون "كامن" (أو مباطن ومحايث) في الذات التي تحكم، أو كل تصور يرده إلى التمثل الذاتي، والكلمة التي يستخدمها هيدغر هي كلمة Vor-stellung ومعناها الحرفي "**تخيل**" بمعنى وضع الشيء أمام العارف واستحضاره ومعنى "استحضار" الشيء المعروف أمام العارف هو نفسه المعنى الذي تنطوي عليه كلمة التمثل في العربية. وبهذا الشكل فإن كلمة التمثل تستبعد فكرة التصور الذاتي وفكرة البناء أو التشكيل الذي تقوم به الذات،ويقصد هيدغر هنا بالتمثل استحضار الشيء والدخول في مجاله والانفتاح على ظهوره وتكشفه قبل إصدار أي حكم عليه. (هيدغر، 1977، صفحة 133) إن الحقيقة هي صواب التمثل، والتمثل هو أن يكون أمامنا شيء ما، وأن ننقل الكائن أمام الذات، بواسطة الإدراك وفي القصد الدال، وبواسطة الذكرى، والمشروع، والأمل والرفض.فالتمثل يتوجه وفق الكائن، ويجعل نفسه مساويا له، ويعيد إنتاجه. **الحقيقة تعني تطابق التمثل مع ما هو عليه الكائن، ومع الكيفية التي هو موجود عليها، أي مع كيفيته ونمطيته**. (سبيلا و بنعبد العالي، 2005، صفحة 77) بهذا فإن أطروحة هيدغر نقلت إشكال الحقيقة من مستوى معرفي (مجال الحكم) إلى مستوى أنطولوجي وجودي (مجال الوجود)، إن الحقيقة مع هيدغر لن تعود محكومة بثنائية ذات/موضوع، ولا هو يبحث عن معيار التطابق بين الفكر والواقع، بل ستصبح الحقيقة مع هيدغر استعداد الكائن البشري لانكشاف الوجود عبر الإنصات إلى لغة الوجود "ما الكشف إلا طريقة كينونة من شأن الكينونة . في . العالم" (هيدغر، الكينونة والزمان، 2012، صفحة 405).

الحقيقة عند هيدغر هي ترك الأشياء توجد وتعبر عن ذاتها وتكشف نفسها، ومن ثمة فإن جوهر الحقيقة هو الحرية، وعلى ضوء المعنى الأصلي للحقيقة على أنها أليثيا (كشف الموجود أو لاتحجبه) يمكن أن نفسر الحرية بأنها هي "ترك الموجود . يوجد " (هيدغر، 1977، صفحة 154) والمقصود بالحرية هنا هو ترك الأشياء تكون ما تكونه، تركها تكشف عن نفسها دون إكراه أو إلزام، الحرية هنا هي الترك والعرض، والوجود المنفتح للأشياء.

إن التفكير الذي يدعو إليه هيدغر هو الذي يوصلنا إلى إزاحة الحجاب عن الأمور التي لم تكشف بعد، هو الوصول إلى حقيقة ما هو متواري ومتخفي وليس ما هو ظاهر باعتباره هو الحقيقة، لأن اعتقاد الإنسان بأنه يملك الحقيقة يمنعه من البحث عنها.

5.خاتمة:

نخلص في نهاية هذا المقال إلى أن الاختلاف في تحديد مفهوم الحقيقة هو ناتج عن تعدد زوايا النظر إليها، إذ كل اتجاه فلسفي يصوغها حسب توجهه، لكننا نجد أن كل تلك التصورات لتحديد ماهية الحقيقة تشترك في نقطة واحدة وهي أن الحقيقة غاية المعرفة. ولأن الفلسفة هي حب للحكمة وليست امتلاكا لها، ولأنها بحث متجدد باستمرار سيكون لزاما لذلك أن تقدم الحقيقة نفسها لا مكتملة ولا بكيفية واحدة بل كتعدد غير مكتمل، أين تنفلت الحقيقة وتصبح وراء ملاحقة المعاني والدلالات والوقائع المتغيرة باستمرار.

إن الميتافيزيقا جعلت من الحقيقة ملازمة للمعرفة الإنسانية وضبطت ماهيتها في التطابق والتوافق، لكن نقد هيدغر لهذه التصورات أفقد الحقيقة في تصورها التقليدي صفات المطلقية والوثوقية. فالحقيقة بعدما كانت ضمن إطارها الفلسفي العام تكاد تجزم حصول التطابق بين الشيء وموضوعه، أو ما يقع في الأذهان توافقا مع الأعيان، سرعان ما تخلت عن هذا الإطار، وأخذت فكرة الحقيقة الكلية والمطلقة تتبدد شيئا فشيئا لعامل النسبية، وفرضية انكشاف الوجود. فبعد أن تضمن كل تساءل عن الحقيقة معنى التوافق والتطابق، أصبحت الحقيقة من منظور معاصر لا تقوم على مفهوم المطابقة بين العقل والواقع بقدر ما تكمن في رد كل من العقل والواقع إلى الأفق الأنطولوجي الذي يسمح بانكشاف الحقيقة، فانتفت عن الحقيقة فكرة المطلقية، وانتفى عنها مبدأ اليقين لتستمد قوتها من تعددها. فوجد هيدغر منفذا للتنصل من أغلال الميتافيزيقا التي حجبت الحقيقة، ففصل الحقيقة عن براثن الميتافيزيقا الذاتية التي تقام على أساس المطابقة، وأخضعها لتفسير وجوداني يقضي بتكشف الحقيقة و إظهار ما تم إضماره وعدم التفكير فيه.

6.قائمة المصادر والمراجع:

Comte-Sponville, A. (2013). Dictionnaire philosophique. paris.

Didier, J. (1964). Dictionnaire de la philosophie. paris: librairie larousse.

Heidegger, M. (1948). De l'essence de la vérité. trad et intr par Alphonse de waelhens et Walter Biemel. paris: Edition Nauwelarts.Vrin.Louvain

Heidegger, M. (1971). Nietzche I.trad par Pierre Klossowski. paris: Gallimard.

Wahl, J. (1998). Introduction à la pensée de Heidegger. paris: Librairie Générale Française.

أرسطو .(2009) .الميتافيزيقا.تر: إمام عبد الفتاح.القاهرة :نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

الإكويني ,ت .(1881) .الخلاصة اللاهوتية.ترجمه من اللاتينية إلى العربية: الخورى بولس عواد. بيروت :دار صدر للنشر.

الجرجاني .معجم التعريفات .القاهرة :دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير.

المسيري ,ع .ا .والتريكي ,ف .(2003) .الحداثة وما بعد الحداثة .دمشق :دار الفكر.

ديكارت ,ر .(1985) .مقال عن المنهج.تر: محمود محمد الخضيري.مراجعة: د محمد مصطفى حلمي.القاهرة :الهيئة المصرية العامة للكتاب.

سبيلا ,م .وبنعبد العالي ,ع .ا .(2005) .الحقيقة .الدار البيضاء المغرب :دار توبقال للنشر.

صليبا ,ج .(1982) .المعجم الفلسفي .بيروت :دار الكتاب اللبناني.

عبد السلام ,ص .(2000) .الوجود الحقيقي عند مارتن هيدغر .الإسكندرية :منشأة المعارف.

غادامير ,ه .ج .(2007) .طرق هيدغر.تر: د حسن ناظم وعلي حاكم صالح.بيروت :دار الكتاب الجديد المتحدة.

لالاند ,أ .(2001) .موسوعة لالاند الفلسفية.تعريب: خليل أحمد خليل.بيروت، باريس :منشورات عويدات.

لكحل ,ف .(2011) .إشكالية تأسيس الدازين في أنطولوجيا مارتن هيدغر .الجزائر :مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع.

ابن منظور. لسان العرب .القاهرة :دار المعارف.

نيتشه ,ف .(2003) .ما وراء الخير والشر تباشير فلسفة للمستقبل.تر: جيزيلا فالور حجار.بيروت لبنان :دار الفارابي.

هيدغر ,م .التقنيةالحقيقةالوجود.تر: محمد سبيلا وعبد الهادي مفتاح.بيروت لبنان :المركز الثقافي العربي.

هيدغر ,م .(2012) .الكينونة والزمان.تر: د فتحي المسكيني.بيروت لبنان :دار الكتاب الجديد المتحدة.

هيدغر ,م .(1977) .نداء الحقيقة.تر: د عبد الغفار مكاوي.القاهرة :دار الثقافة للطباعة والنشر.

يعقوبي ,م .(2002) .فلسفة الوجود خلاصة الميتافيزياء .دار الكتاب الحديث.

يفوت ,س .(1999) .المناحي الجديدة للفكر الفلسفي المعاصر .بيروت :دار الطليعة للطباعة والنشر.